برنامج [قـرآنـهـم] - الحلقة (18)

الاثنين : 1 شوال 1438هـ عيد الفطر المبارك / الموافق : 2017/6/26م

✤ وصلنا إلى الآية 72 وعندها ينتهي الحديث عن قوم عاد، وعن النبي هود {فأنجيناهُ والذين معهُ برحمةٍ منّا وقطعنا دابرَ الذين كذّبوا بآياتنا وما كانوا مُؤمنين}. لابدُ أن نعرفَ أن النبوَّات التي ذُكرت في القُرآن تتمثّل في عدّة خطوط:

• هُناك الخطُّ الآدمي ويبدأ بأبينا آدم ثُمّ ينتقل هذا الخطّ إلى هابيل، وبعد هابيل إلى هبة الله، ويتسلسل حتّى نُوح النبيّ، ويستمر هذا الخط في نُبوّة هود، في نُبوّة صالح.. هذا هو الخطّ الآدمي.

• وهناك الخطُّ الإبراهيمي: وهذا الخط لهُ عِدة اتّجاهات.. نحنُ لسنا على علم بكلّ أسماء الأنبياء..

• هناك اتّجاه يُمثّله النبي لوط.

• وهناك اتّجاه يمثله النبيّ اسحاق يظهر واضحاً في ولده يعقوب وهنا يبدأ الخطّ الإسرائيلي.

• وهناك الخطُّ الاسماعيلي (إبراهيم فإسماعيل الذي يستمرُّ في سُلالة إسماعيل في النبوّات حتّى ولادة النبي وولادة الوصي "صلّى الله عليهما وآلهما" مثلما جاء في الروايات: (حتّى يتجلّى هذا النُور الإلهي في أطهر طاهرين: عبد الله، وأبو طالب)

فالقرآن ركّز على أهمّ الأسماء والعناوين والرموز. فمرّ الحديث عن النبي نوح، وعن النبي هود، وهُنا نحن عند النبي صالح.

■ قوله تعالى: {وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره قد جاءتكم بيّنة مِن ربّكم هذهِ ناقةُ الله لكم آية فذروها تأكلُ في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم} الأخوّة هنا عشائرية وليست أخوّة الإيمان.

● {قد جاءتكم بيّنة مِن ربّكم} البيّنةُ هي الدليل، وقَيل لها بيّنة لبيانها ووضوحها وجلائها.. البيّنة حُجّة، شاهد، علم، والمراد من علم أي: (معلومة واضحة لا شكّ فيها). هذه البيّنة هي ناقة الله.. والآيات كما مرّ في الحلقة السابقة في سلسلة مُتصاعدة، فمثلما المطر والنبات والثمارُ آياتٌ تقدّم الحديثُ عنها وهذهِ الآيات فيها دلالة وإشارة إلى علم المعصوم "صلوات الله عليه"، وتتسلسلُ الآيات إلى أعظم الآيات (ما لله آية أكبرُ منّي) الآية الكُبرى عليّ وآل علي وناقة الله هذهِ هي ناقة صالح، وهي ناقة الله فقد سمّاها القرآن بذلك، وإذا قالوا لها ناقة ثمود فلأنّهم عَقروها.

● {هذهِ ناقةُ الله لكم آية} آية الناقة هي آية واضحة حتّى لو حدثت في هذا الزمن، فكيف وفي تلك الأزمنة وهم الذين طلبوا هذا الأمر؟!

جبلٌ بعظمته يتمخّض كما تتمخّض المرأة، وتصدرُ منه أصوات مُرعبة، ثُمّ ينشقُّ وإذا بناقةٍ عشراء حمراء وبراء تخرجُ مِن هذا الجبل وهي تجترُّ.

علماً أنّهم هُم الذين طلبوا هذهِ الآية، طلبوا هذهِ العلامة، وكُلّ الآيات تتسلسلُ حتّى تعود إلى الآية العُظمى (إلى محمّد وآل محمّد). ناقة الله هذهِ آيةٌ تقع في سلسلة محمّد وآل محمّد.. وأمّا جمل القوم (والجملُ جملهم) فهو آية أيضاً ولكن هذه الآية في سلسلةٍ أخرى، في سلسلةٍ شيطانية جهنّمية. وهو نفس المضمون الذي مرّ علينا في الآية 58 {والبلدُ الطيّب يخرجُ نباته بإذن ربّه والذي خبُثَ لا يخرجُ إلّا نكِدا كذلك نصرّف الآيات لقومٍ يشكرون} البلد الطيب آية والبلد الخبيث آية ولكن هذهِ سلسلة وتلك سلسلة.. والأشياء تُعرف بأضدادها، والدين ولاية وبراءة. (ولاية للبلد الطيّب وبراءة من البلد الخبيث).

● {هذهِ ناقةُ الله لكم آية فذروها تأكلُ في أرض الله ولا تمسّوها بسوء} أنتم الذين أردتم علامةً مِن الله وهذهِ هي العلامة، فذروها تأكل في أرض الله، هي لا تضرّكم ولا تُؤذيكم.

■ {واذكروا إذْ جعلكم خلفاء مِن بعد عاد وبوأكم في الأرض تتّخذون مِن سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بُيوتاً فاذكروا آلاءَ الله ولا تعثوا في الأرض مُفسدين} قصّة عاد معروفة لديهم.

● {وبوأكم في الأرض} بوّأكم: سهّل لكم حركتكم، وأعطاكم مِن القُدرة على إعمار الأرض والتسلّط عليها.

● {تتّخذون مِن سهولها قصوراً} قصوركم تُبنى على الأرض السهلة، على الأراضي المنبسطة الواسعة.. والقصور هي البيوتُ الفارهة العالية التي تُحيط بها مساحات خضراء (البساتين والحدائق) وتكون تلك الحدائق وتلك البساتين مُسيّجة بأسيجة.

● {ولا تعثوا في الأرض مُفسدين} لا تعثوا: لا تُفسدوا، فإنّ العَثي هُو الفساد، ومَرّ علينا هذا الكلام فيما يرتبط بالإفساد، مرّت علينا الآية 56 من سورة الأعراف. {ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خَوفاً وطَمَعاً إنَّ رحمتَ الله قريبٌ مِن المحسنين}

كان الخطابُ لهذهِ الأمّة عن أرض فاسدة كانوا قد أفسدوها، ولكنّها أُصلحتْ بمحمّد وعليّ، ولكنّهم عادوا فأفسدوها حين نقضوا بيعة الغدير عسكرياً وعلمياً. والكلام هو هو مرّ في قِصّة قوم عاد.. أيضاً نبيّهم هو الآخر قال لهم: {فاذكروا آلاء الله لعلّكم تُفلحون}

هذا المُصطلح رمز قرآني سأتناول دلالته.

● القرآن نزل على العبارة والإشارة واللّطائف والحقائق.. ومُنذ الحلقات الأولى مِن هذا البرنامج وأنا أُكرّر أنّ حديثي هُنا هو في أُفق العبارة.. ولكنّني سأحاول في بعض الأحيان أن أتشبّث بأذيال الإشارة لكي أُقرّب لكم ما المراد مِن أنّ القرآن نزل على العبارة الإشارة لتوضيح هذا المعنى سأقف عند هذا المُصطلح "آلاء الله" لكي أقرّب فكرة الإشارة إلى أذهانكم.

فهود النبي يقول: {فاذكروا آلاء الله} وصالح النبي يقول: {فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مُفسدين}

■ قولهِ تعالى: {قال الملأُ الذين استكبروا مِن قومه للذين استضعفوا لِمَن آمن منهم أ تعلمونَ أنَّ صالحاً مُرسلٌ من ربّه قالوا إنّا بما أُرسل به مؤمنون} دائماً الحديث عن الملأ عن النُخبة، عن الزعامة (زعامة الدين، زعامة السياسة، زعامة المال) هؤلاء هم النُخبة بغضّ النظر هل هم على حقّ أم على باطل. هناكَ مجموعة المُستكبرين في مواجهة نُوح النبي.. المجموعة هي هي بنفس المنطق في مواجهة هود النبي.

استكبارٌ واستهزاءٌ وسخرية بالحقّ وتكذيبٌ بالآيات والآلاء.. بعبارة موجزة واضحة: هناك عملية تعطيل للعقل!

الأنبياء يُريدون أن يُثيروا دفائن العقول.. الملأ المُستكبرون من زعامات الدين والسياسة والمال يُريدون تَعطيل العَقل، وأن يُوجّهوا العَقل بحسب ما يُريدون، ولِذا تبدأ عملية المواجهة، وعملية العناد، وعملية التسفيه لمنطق العقل؛ لأنّهم يمتلكون القوّة، وطبيعة الناس تنقاد إلى القوّة (القوّة الماليّة، القوّة الجماهيرية، القوّة الإعلامية)

■ قولهِ {للذين استضعفوا} أي للذين لا يملكون مُقوّمات القوّة بحسب ما عليه المُجتمع آنذاك من موارد القوّة.

● {للذين استضعفوا لِمَن آمن منهم} ما كُلّ المُستضعفين آمنوا بصالح النبي.. هناك كثير مِن المُستضعفين يركضون ليل نهار حُفاةً عُراء وراء المُستكبرين مِن دُون أن ينتفعوا شيئاً.. إنّها هيبة الغالب وسطوته، إنّه انبهار المغلوب أو استخذاؤه أمام الغالب، هكذا طبيعة المُجتمعات وحتّى طبيعة الأفراد. قد ينبهر مُجتمع بمجتمع، وقد يستخذي مُجتمع أمام مُجتمع، وشيءٌ مِن هذا موجود في واقعنا الشيعي!

في بدايات عصر الغَيبة الكُبرى ركض علماء الشيعة على الفكر الناصبي انبهاراً به واستخذاءً بين يدي الغالب، وبقيتْ هذه القضّية إلى يومنا هذا في ثقافتنا الشيعية. حيرةٌ عند الشيعي حتّى في بيته يُفكّر إذا ما تكلّم بكلام بين أفراد عائلته يحسب للمُخالفين حساباً.. لابُدّ أن يتكلّم في حدود ما يُرضي المُخالفين وفي حدود ما يكون جواباً مُقنعاً للمُخالفين!

المكتبة الشيعية، الإعلام الشيعي، المنبر الشيعي، المرجعية الشيعية، الأحزاب السياسية الشيعية كلّها تضبط خطواتها على أنغام موسيقى المُخالفين ماذا سيقولون عنّا.. هذا هو ركض المغلوب وراء الغالب، إمّا انبهاراً وإما استخذاءً أو ضعفاً في الشخصية.

■ {قال الملأ الذين استكبروا مِن قومهِ للذين استُضعفوا لِمَن آمن منهم أَ تعلمون أنّ صالحاً مُرسلٌ مِن ربّه قالوا إنّا بما أُرسل بهِ مُؤمنون}

{إنّا بما أُرسل بهِ مُؤمنون} نحنُ نُؤمن برسالته، فنحن تجاوزنا مرحلة التعليم والتعلّم والعِلم وهُو جوابٌ أقوى مِن السؤال!

■ {قال الذين استكبروا إنّا بالذي آمنتم به كافرون} كافرون: أي بالرسالة التي جاء بها صالح، وبنبوّة صالح، وبصالح وبكم.

قطعاً هذا النقاش استمرّ أكثر من 100 سنة.. اللّقطات هنا سريعة مثلما مرّ الحديث في قصّة نوح النبي، فهذه النقاشات التي جرت في قِصّة النبي نوح استمرّت مئات مِن السنين وأحداث وويلات، والحال هو نفسه في قِصّة صالح النبي.

■ {فعقروا الناقة وعتوا عن أمْر ربّهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تَعدنا إن كنتَ مِن المرسلين}

{وعتوا عن أمْر ربّهم} عتوا أي تمرّدوا وخرجوا بعدائية وحقد.. وعَقْر الناقة هو تقطيع أرجلها، وعقر الناقة أيضاً هو قتلها.. بالنتيجة هم قتلوها.

● سُمّي عاقر الناقة بأشقى الأوّلين؛ لأنّ هذه الناقة آية في سلسلة الآيات التي ترتبط بآل محمّد.. هي مِن شؤوناتهم، هذا هو التأييد العلوي لِصالح النبي. (كُنت مع الأنبياء باطناً) كُلّ آيات الأنبياء علوية المذاق. فأوّل حركة قام بها عاقر الناقة هي أنّه عقر الناقة بعد أن كمن لها في الطريق.. فقد ذهبت الناقة كي تشرب الماء، فلمّا شربتْ وعادتْ كمَنَ لها في طريق عودتها فعقرها (والروايات ذكرت تفصيل ذلك).

● الذي عقر الناقة هو شخصٌ واحد لكنّهم أيّدوه ووقفوا معه، وكثير منهم فرح بالذي جرى.. صالح النبي فتح أبواب التوبةِ لقومه حتّى بعد أن عقروا الناقة، قال لهم توبوا فإنّ الله يتوب عليكم إذا ما تُبتم، ولكنّ العناد ذهب بهم بعيداً، فلقد أجرموا إجراماً كبيراً فيما فعلوه بالناقة وفصيلها!

مع أنّ هذه الآية هم طلبوها وجاءتْ بحسب مَذاقهم.

■ {فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين}، الرجفة هو وصفٌ للعذاب الذي حلّ بقوم ثمود بعد أن عقروا الناقة، وهو أمرٌ مُفصّل في الروايات.. الرجفة هي هزّة وصوت.. الروايات ذكرت جانباً من التفاصيل، ولكنّ الذين استشعروا العذاب هم قوم ثمود.

● {في دارهم جاثمين} الجاثم إمّا هو الذي وقع على وجهه، وإمّا أنّه برك على رُكبتيه.. بالنتيجة الذين لا يستطيعون الوقوف والقيام وإنّما تساقطوا على الأرض، هؤلاء هم الجاثمين.. لا يستطيعون الحِراك في دارهم، نزل العذاب عليهم فجثموا على الأرض.

■ {فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تُحبّون الناصحين} تولّى عنهم: أي غادر هذا المكان، لأنّ الأماكن التي ينزلُ فيها العذاب ستبقى مَوطناً للسخط الإلهي! نهيٌ شديد عن الإقامة فيها، ونهيٌ شديد عن العبادة والصلاة فيها. (أي في الأماكن التي حلّ فيها عذاب الله، أو الأماكن التي يُمكن أن تكون محلاً لسخط الله سُبحانه وتعالى).

● الإمام الصادق حينما كان في حالة اضطرار يذهب إلى السوق لِحاجةٍ، لشأنٍ.. كان لا يُطيل المكوث في السوق، وإنّما يُعجّل بالخروج منه ويُبيّن السبب فيقول: لأنّ هذه المواطن لا يُعلم متى سيحلّ عليها عذابُ الله. (قطعاً ليس الحديث عن العذاب المادي، فالعذاب الخفي أخطر بكثير مِن العذاب الجليّ)، العذاب الخفي هو أن يُسلب الناس التوفيق!

حديث الإمام عن السوق ليس بالمُطلق، وإنّما ذكر الإمام السوق باعتبار أنّ السُوق تُرتكب فيه المعاصي والمُحرّمات والمُخالفات الشرعية (هناك الكذب، والغشّ، والكسب الحرام، الدجل والاحتيال، الارتباط الشديد بالدنيا، هناك بوابات المفاسد والمُحرّمات..) علماً أنّه ليس بالضرورة أن تكون كلّ الأسواق هكذا.. ولكن الجوّ العام في الأسواق هو هذا.

■ {فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتُكم رسالةَ ربّي ونصحتُ لكم ولكن لا تُحبّون الناصحين} لا يُحبّون الناصحين لأنّ المُستكبرين قد عطّلوا العقول! وإلّا لو كانت العقول تشتغل وتعمل لتوقّفوا عند ما قاله لهم نبيّهم صالح لعشرات مِن السنين. هم يعرفون كمال عقل صالح وهو يُبلّغ رسالة الله، فهل في رسالات الله نقص؟ قطعاً ستكون الرسالة التي حملها منطقية إلى أبعد الحدود تنسجم مع الفطرة والوجدان والذوق السليم.

■ وقفة عند حديث الإمام الباقر في [تفسير البرهان: ج4]

عن أبي حمزة، عن إمامنا الباقر "صلواتُ الله عليه" قال: (إنّ رسول الله "صلّى الله عليه وآله" سأل جبرئيل: كيف كان مهلك قوم صالح؟ فقال: يا مُحمّد، إنّ صالحاً بُعث إلى قومهِ وهو ابنُ ستّ عشرة سنة، فلبثَ فيهم حتّى بلغ عشرين ومئة سنة، لا يجيبونه إلى خير، قال: وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها مِن دون الله عزّ ذكره، فلمّا رأى ذلك منهم، قال: يا قوم، بعثتُ إليكم وأنا ابنُ ست عشرة سنة، وقد بلغت عشرين ومئة سنة، وأنا أعرض عليكم أمرين:

إن شئتم فاسألوني حتّى أسأل إلهي فيُجيبكم فيما سألتموني الساعة، وإن شئتم سألتُ آلهتكم، فإنْ أجابتني بالذي سألت خرجتُ عنكم، فقد سئمتكم وسئمتموني.

قالوا: لقد أنصفتَ يا صالح. فاتّعدوا - اتفقوا على موعد - ليوم يخرجون فيه، قال: فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم - إلى أرض مفتوحة - ، ثمّ قرّبوا طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا، فلمّا أن فرغوا دعوه، فقالوا: يا صالح اسأل- الأصنام - ، فقال لكبيرهم: ما اسم هذا - الصنم الكبير -؟ قالوا:

فلان. فقال لهُ صالح: يا فلان، أجب. فلم يُجبه، فقال صالح: ما لهُ لا يُجيب؟ قالوا: ادعُ غَيره. فدعاها كُلّها بأسمائها فلم يُجبه منها شيء، فأقبلوا على أصنامهم، فقالوا لها: ما لكِ لا تُجيبين صالحاً؟ فلم تُجبْ.

فقالوا: تنح عنّا، ودعنا وآلهتنا ساعة. ثُمّ نحّوا بُسُطهم وفُرُشهم، ونحّوا ثيابهم، وتمرّغوا على التُراب، وطرحوا التراب على رؤوسهم، وقالوا لأصنامهم: لئن لم تُجبنَ صالحاً اليوم ليفضحُنا. قال: ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح، ادعها. فدعاها فلم تُجبه.

فقال لهم: يا قوم، قد ذهبَ صدْر النهار- أي أكثر النهار - ولا أرى آلهتكم تُجيبُني، فاسألوني حتّى أدعو إلهي فيُجيبكم الساعة فانتدبَ لهُ منهم سبعون رجلاً من كبرائهم والمنظور إليهم منهم - من سادتهم - فقالوا: يا صالح، نحنُ نسألك، فإنْ أجابكَ ربّك اتّبعناك وأجبناك، ويبايعك جميعُ أهل قريتنا. فقال لهم صالح: سلوني ما شئتم. فقالوا: تقدّم بنا إلى هذا الجبل، وكان الجبل قريباً منهم، فانطلقَ معهم صالح، فلمّا انتهوا إلى الجبل، قالوا: يا صالح، ادعُ لنا ربّك يُخرج لنا مِن هذا الجبل الساعة ناقةً حمراء شقراء وبْراء عَشرْاء، بين جنبيها ميل، فقال لهم صالح: قد سألتموني شيئاً يعْظمُ عليّ ويهون على ربيّ جلّ وعزّ وتعالى.

قال: فسأل الله تبارك وتعالى صالح ذلك، فانصدعَ الجبل صَدْعاً كادتْ تطير منهُ عقولهم لمّا سمعوا ذلك، ثمّ اضطربَ ذلك الجبل اضطراباً شديداً كالمرأة إذا أخذها المَخاض، ثمّ لم يَفاجأهم إلّا رأسها قد طلع عليهم مِن ذلك الصدع، فما استتمّتْ رقبتها حتّى اجترّت، ثمّ خرجَ سائر جسدها، ثمّ استوتْ قائمةً على الأرض، فلمّا رأوا ذلك، قالوا: يا صالح، ما أسرعَ ما أجابك ربّك! ادعُ لنا ربّك يُخرج لنا فَصيلها، فسأل الله عزّ وجلّ، فرمتْ به، فدَبَّ حولها - بدأ يتحرّك فصيلها حولها -

فقال لهم: يا قوم، أ بقي شيء قالوا: لا. انطلقْ بنا إلى قَومنا نُخبرهم بما رأينا ويُؤمنون بك. قال: فرجعوا، فلم يبلغ السبعون إليهم حتّى ارتدَّ منهم أربعة وستون رجُلاً، قالوا: سِحْرٌ وكذب! قال: فانتهوا إلى الجميع، فقال الستّة: حقّ، وقال الجميع: كذبٌ وسِحْر، قال: فانصرفوا على ذلك ثمّ ارتاب مِن الستّة واحد، فكان فيمَن عَقَرها..)

● قولهِ (ناقةً حمراء شقراء وبْراء عَشرْاء) الناقةُ الحمراء هي الناقة التي في لونها ميلان إلى الاحمرار، وقولهِ (وبراء) أي كثيرة الوبر، وقوله (عشراء) تكون حاملاً مُقرباً أي في الشهر العاشر.. والناقة العشراء ناقة عزيزة عند أهلها.
وقد طلبوا هذا الطلب لأنّهم يَرون أنّ هذا الطلب أمراً مُستحيلاً. (مواصفات نادرة طلبوها)

● قوله (بين جنبيها ميل) أي أن تكون المسافة بين جنبها بمقدار ميل، يعني أنّ الناقة في حجمها كبيرة جدّاً وليس بعيداً على الله ذلك.. ولكن رُبّما هناك تغير وتصحيف في هذه الجملة.

● قولهِ (فما استتمّتْ رقبتها حتّى اجترّت) أي وكأنّها كانتْ موجودة هناك في داخل الجبل، فالاجترار هو عملية إعادة هضم للطعام.

● قول الرواية (حتّى ارتدَّ منهم أربعة وستون رجُلاً، قالوا: سِحْرٌ وكذب!) هذا الأمر كان يتكرّر على طول الخط مع نبيّنا ومع آل نبيّنا.. من هنا نجد هذا الترابط الوثيق فيما جرى بين أمّة هود وأمّة صالح.
أساساً كُلّ الأنبياء الذين ذُكروا في القرآن كانتْ أُممُهم قد كُلّفت بشكلٍ واضح بالاعتقاد بنبيّنا وآله.. صحيحٌ أن بني إسرائيل لهم الخصوصية الواضحة، ولكن كُلّ الأنبياء الذين ذُكروا في القرآن كانت رسالتهم مُرتبطة بنحوٍ مُباشر مع محمّد وآل محمّد، وهكذا سائر الأنبياء. ولذا في رموز القرآن هناك ترابط بين هذه الأسماء وهذه الرموز والدلالات وبين منظومة محمّد وآل محمّد العقائدية الدينية.. وسيأتي بيان ذلك بالنحو الممكن.

● الذين تآمروا على عقر الناقة كان عددهم 9، فكان واحد من هؤلاء التسعة هو واحد من هؤلاء الستّة الذين شهدوا لِصالح وما رأوا من معجزة خروج الناقة من الجبل. (تقلّبات الدنيا، هكذا هم الناس، وهكذا سيرة الشيعة عِبر التأريخ).

✤ ملاحظة واضحة على مُستوى الألفاظ والمُصطلحات:
تكرّر هذا المُصطلح على مُستوى قوم عاد وقوم ثمود مُصطلح: "آلاء الله" وسأقف عند هذا المُصطلح ولكن بعد أن أتناول الآيات التي تحدّثتْ عن قوم لوط

● لوط هو في الخط الإبرهيمي، هو مُعاصر لإبراهيم الخليل وهو من أقرباء إبراهيم الخليل، وكانتْ نبوّته مُتفرّعة عن نبّوة إبراهيم الخليل.. إبراهيم عراقي وبعد ذلك قطن الشام إلى أن فارق الدنيا.. ولوط هو ابن خالة إبراهيم، وكان في بلاد الشام.

■ في الآية 80 من سورة الأعراف: {ولوطاً إذْ قال لقومه أتأتونَ الفاحشة ما سَبَقَكم بها مِن أحدٍ مِن العالمين}
الفاحشة هو الخُروج الزائد والخُروج عن الحُدود التي يجب أن يَسير في داخلها الإنسان.. فالذي يفحش هو الذي يتجاوز هذه الحدود، ولِذا يُقال عن المَكان البعيد مكان على بُعْدٌ فاحش، والكلام الذي يتجاوز حدود الأدب يُقال عنه: كلام فاحش.. ويُقال للأعمال حين تتجاوز حدود الله في الدين فاحشة وفحشاء.. والفاحشة هنا التي يتحدّث عنها لوط النبي هي (اللّواط) ويتفرّع عليها السِحاق، لكن السِحاق لم يُشَر إليه بشكلٍ علني لأنّ السِحاق كان بسبب اللّواط.. حين انتشر اللّواط في قوم لوط وتركوا نساءهم، جاء إبليس ونشر السحاق بين نسائهم! ولم يكن قبل هذا التأريخ لا لِواط ولا سِحاق على وجه الأرض. هنا يتأسّس اللّواط في مدائن قوم لوط!

■ {إنّكم لتأتونَ الرجال شَهوةً من دُون النساء بل أنتم قوم مسرفون} اللّواط خروجٌ على ما اعتادتهُ البشرية في حسناتها وسيّئاتها.. هذا تجديدٌ في الضَلال وتجديدٌ في المعصية.. وما جدّد الناس شيئاً مِن الذنوب إلّا وجدّد اللهُ لهم شيئاً جديداً مِن البلاء

✤ اللواط فيه أمران:

❂ الأمر الأوّل: أنّ اللّواط هو خروجٌ على ما اعتاده المُجتمع البشري والذوق الإنساني مُنذ أبينا آدم وإلى هذهِ اللّحظة.. ولِذا فإنّ الله تعالى ألغى مدائن قوم لوط. فقد مرّ في تأريخ المُجتمع البشري الكثير والكثير مِن الظُلم والجريمة والضلال والسيّئات ولكن لم تأتِ جريمة كجريمة اللّواط.. ولِذلك حتّى العقوبة كانت بأنّ هذه المدائن طُمرتْ في الأرض ولم يُبقِ الله تعالى لهم مِن أثر! في حين أنّ سائر الأُمم التي عُذّبت بقيتْ لها آثار ما عدا قوم لوط.. والروايات تقول أنّ الحجارة التي رُجِم بها قوم لوط حِجارةٌ خاصّة تختلف عن حِجارة الأرض!

● الخطّابية منهم مَن يُصرّون على المُمارسة العمليّة لفاحشة اللّواط، ومنهم مَن يستحلّه (أي يرآه حلالاً) لأنّ مَن يعتقد أنّه إمامه قد أحلّ له ذلك
المُصرّ على مُمارسة اللّواط والمُستحّل له في الروايات الشريفة جاء في الروايات أنّه لابُدّ أن يُضرب بحجر من نوع تلك الأحجار التي لا شبيه لها على الأرض التي ضُرِب بها قوم لوط ولكنّ الناس لا يرون ذلك.. فهو لا يموت إلّا بضربةٍ مِن حجر!

● الروايات تقول: بعد أن ضُربوا بهذا السجّيل المَنضود الذي لا شبيهَ له على الأرض جاء جبرئيل وبِجناحه فرفع تلك المدائن حتّى أنّ الروايات تُقرّب الفكرة والصورة التي تُريد أن تقول إلى أيّ ارتفاع رفعهم جبرئيل، فتقول: أنّه رفع هذهِ المدائن من التخوم السابعة مِن باطن الأرض حتّى أنّ أهل العرش سمعوا صياح دِيَكَتهم فقد كانوا نياماً والضربة حصلتْ عند الفجر.. ومن هناك ردمهم بالأرض فغاصتْ تلك المدن ولم يبقَ منها أثر إلى يومنا هذا.

❂ الأمر الثاني: أنّ اللّواط أمرٌ يُؤدّي إلى تهديم بناء التكوين الفطري عند الإنسان، وهذا الأمر هُو من أفضل الوسائل التي يُوظّفها إبليس في مُواجهة إمام زماننا.. لِذا النبي لوط حِينما هجم عليه اللّواطون استغاث بإمام زماننا.

✤ نقطة مهمّة:

إذا أردنا أن نُقارن بين قوم لوط وبين الخطّابية على طول التأريخ منذ زمان إمامنا الصادق وإلى هذا اليوم: نجد أنّ قوم لوط وجدوا في اللّواط شهوة لذّة.. أمّا الخطّابية قالوا: إنّ اللّواط عبادة من العبادات، واللّواط يُؤدّي إلى صفاء الباطن، واللّوط عنوان من عناوين التواضع لله!!

والخطّابيّة المعاصرون أيضاً يقولون هذا الكلام!!

● في الآية 81 من سورة الأعراف: {إنّكم لتأتونَ الرجال شَهوةً مِن دُون النساء بل أنتم قوم مسرفون} أنتم تجاوزتم الحدود، الإسراف هو تجاوز الحُدود.. هو اتلافٌ للأموال وإضرارٌ بالأبدان (الخروج عن الحدود التي يلتزم العاقل بالحركة ضِمنها).. ولِذا حِين هجموا عليه، قال لهم النبي لوط:

{وجاءَهُ قومهُ يُهرَعون إليه ومِن قبل كانوا يعملونَ السيّئات قال يا قوم هَؤلاء بناتي هُنَّ أطهرُ لكم فاتّقوا الله ولا تُخزونِ في ضَيفي أليس منكم رجلٌ رشيد} كما في الآية 78 من سورة هود حينما جاء الملائكة إلى دار النبي لوط أضيافاً حلّوا في داره وكانوا بصورة شباب في غاية الجمال.. فزوجة لوط أخبرتْ الجيران من أنّ شباباً في غاية الحُسن والجمال قد حلّوا ضُيوفاً في دارنا.. فتباشر القوم فجاؤوا مُتراكضين كي يفعلوا الفاحشة مع هؤلاء الشباب! ولا يُوجد في هذه القرية مَن يُدافع عن لوط، فقط كان لوط وولده، حتّى زوجته كانت مع القوم الضالّين!

● {أليس منكم رجلٌ رشيد} أي ألا يُوجد فيكم عاقل؟ وهذا يعني أنّ اللواط يسلب العقل من الإنسان!

■ {وما كان جواب قومهِ إلّا أن قالوا أخرجوهم مِن قريتكم إنّهم أناس يتطّهرون}

● قولهم {أخرجوهم مِن قريتكم إنّهم أناس يتطّهرون} هذا اعتراف صريح مِن قوم لوط أنّهم أنجاس.. وهم يعرفون نجاستهم، ومِن هُنا قلت: إذا كانتْ الواقفة كلاباً ممطورة، فإنّ الخطّابية خنازير ممطورة.. هذا منطق قوم لوط والخطّابية أسوأ منهم؛ لأنَّ الخطّابية ينسبون اللّواط إلى إمام زماننا!! فإنّ الذي يعتقدون أنّه إمامهم يُمارس اللّواط أمامهم وهو الذي أحلّ اللّواط لهم، وهم يعتقدون أنّ إمام زماننا يفعل هذا..! (هؤلاء هم الخطّابية)! ● قولهم {أناس يتطّهرون} أي أنّ هؤلاء مُتدّينون، هؤلاء مُتشرّعون، هؤلاء يبحثون عن الطهارة والنقاء، أمّا نحن فمُرتكسون في هذه القذارة والنجاسة! ■ {فأنجيناهُ وأهله إلّا امرأتهُ كانتْ من الغابرين} فقط كان لوط وذُريّته هم الناجين.

■ في سورة الذاريات نقرأ حوار بين إبراهيم النبي وبين الملائكة الذين أرسلوا إلى قوم لوط في هذه الآيات:

{قال فما خَطْبكم أيُّها المُرسلون* قالوا إنّا أُرسلنا إلى قومٍ مجرمين* لنُرسِل عليهم حِجارةً مِن طين* مُسوَّمةً عند ربّك للمُسرفين* فأخرجنا مَن كان فيها مِن المؤمنين* فما وجدنا فيها غير بيتٍ مِن المسلمين}. مُسوّمة: أي مُهيّئة، مُعلّمة.

النتيجة: {فأخرجنا مَن كان فيها مِن المؤمنين* فما وجدنا فيها غير بيتٍ مِن المسلمين} يعني أنّ هؤلاء اللّواطون كانوا على ديانة النبي لوط، وعلى ديانة النبي إبراهيم لذلك هم مُسلمون (فالإسلام دين الأنبياء) الأنبياء الذين هم في سِلسلة الخطّ الإبراهيمي مُسلمون وأتباعهم مُسلمون.

لوط هو في خط النبوّة الإبراهيمية فهو مُسلم وأتباعه مُسلمون، وهذه المدائن كانت مدائن صالحة معروفة بالتدّين وحُسن الخُلق، ولكن جرى ما جرى.. وهنا القرآن يحكم بعدم إسلامهم مع أنّهم يُمارسون اللّواط للشهوة فقط، ويعلمون أنّه مُحرّم.. ولا يُنكرون الدين بدلالة الآيات أن قالت: اخرجوهم مِن قريتكم. ولم يقولوا أنّ لوط على ضلال وإنّما قالوا: إنّهم أناس يتطهّرون.. ومع ذلك القرآن حكم بعدم إسلامهم.. فكيف توصّل الخطابية إلى أنّ اللّواط مِن الإسلام.. لا ندري؟!!

● قوله {إلّا امرأتهُ كانتْ من الغابرين} أي من الذين غبروا ومرّوا وانتهوا وصاروا في دائرة النسيان.

علماً أنّ زوجة لوط كانت فاحشتها مَخفيّة، فكانت في بيتٍ من بيوت المُسلمين، ولكن حِينما تمّت عملية الإخراج أُخرج المؤمنون فقط

● لوط النبي حين هجم عليه قومه اللّوطيّون، وقال لهم: {هؤلاء بناتي هُنّ أطهرُ لكم} أيّ ظرفٍ عصيب يمرّ به النبي لوط هنا فيُقدّم بناته لهؤلاء المُسوخ الفجرة؟! هؤلاء اللّوطيّون في حقيقتهم مُسوخ، لأنّ بناء الفطرة التكويني في داخلهم قد هُدِم ولم يبقَ منه شيء.. ولكن مع ذلك دفاعاً عن أضيافه قال لهم ما قال وعرض بناته عليهم لعلّهم يعودون إلى الطريق الصحيح.. وحين قالوا له: {قالوا لقد علمتَ ما لنا في بناتِك مِن حق وإنّك لتعلمُ ما نُريد} فقال لهم: {قال لو أنَّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركنٍ شديد} حين استغاث واستجار بهذه الجهة هنا الملائكة تكلّمت فقالت:

{قالوا يا لوط إنّا رُسُل ربّك لن يصلوا إليك فأسرِ بأهلكَ بقطَعٍ من اللّيل ولا يلتفت منكم أحدٌ إلّا امرأتكَ إنّه مُصيبها ما أصابهم إنّ موعدهم الصبح أليس الصبحُ بقريب}. وهذه الإستجابة هي من إمام زماننا.. الصبح عنوانٌ في القرآن الكريم لوقت ظهور إمام زماننا.

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق في [تفسير البرهان: ج4] في قوله تعالى: {لو أنَّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركنٍ شديد} قال "عليه السلام":

(القوّة القائم: والركن الشديد: ثلاثمئة وثلاثة عشر) فهذه الجهة هي التي ستكون في مواجهة هدم البناء التكويني للفطرة، وأبرز ملامح هدم البناء التكويني للفطرة هو: اللّواط.. فلوط النبي استجار بالقوّة المُعدّة المسؤولة عن مواجهة هدم بناء التكوين الفطري: إنّه صاحب الأمر، ومن هنا استجار بهِ. الملائكة هنا حين استجابوا استجابوا بأمرهم "صلوات الله عليهم".

● إمام زماننا يمدّ يداً على رؤوس العباد فيجمع بها عقولهم ويجمع أحلامهم ويُصلح القلوب والعقول لكي تتكامل الفطرة في أحسن صورها وفي أكمل هيئاتها.. بينما إبليس يُريد أن يُهدّم البناء التكويني للفطرة وأفضل أسلوب لتهديم البناء التكويني للفطرة هو اللّواط.

■ رواية أخرى: (عن ميمون البان، قال: كنتُ عند أبي عبد الله، فقُرِئ عندهُ آياتٌ من هود، فلمّا بلغ {وأمطرنا عليها حجارةً مِن سجّيل منضود* مسوَّمةً عند ربّك وما هي من الظالمين ببعيد} قال: فقال: مَن ماتَ مُصرّاً على اللّواط لم يمتْ حتّى يرميهِ اللهُ بحجر مِن تلك الحجارة، تكون فيه مَنيَّتهُ، ولا يراه أحد) لا يرآه أحد لأنّها حجارة خاصّة هي نفس الحجارة التي رُمي بها قوم لوط.. هذا قانون الإمام يُبيّنه هنا.. هذا بالنسبة لِمن مات مُصرّاً.

■ رواية أخرى: (عن أبي عبد الله في قوله: {وأمطرنا عليها حجارةً مِن سجّيل منضود* مسوَّمةً} قال: ما مِن عبدٍ يَخرجُ مِن الدُنيا يَستحلُّ عملَ قومِ لوط إلّا رماهُ الله جَندلةً مِن تلكَ الحِجارة، تكونُ مَنيّته فيها، ولكن الخلق لا يرونه)

الجندلة هي الصخرة القوية، هي أصعبُ الحجارة وأصلبها، وهذا يدلّك على أنّ هذه الحجارة حجارة خاصّة مِن طينٍ منضود أي من طين مطبوخ.

■ {وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين} هذا مطرٌ من حجارة من سجّيل فهنا يُوصفون بالإجرام، ويُوصفون بعدم العقل، وبالإسراف، وبالشهوانية وبأنّهم ليسوا مُؤمنين وأنّهم أُناسٌ يتنجّسون.. الإنسان الذي يتنجّس هو نجسٌ ولكنّه يزدادُ نجاسةً يوماً بعد يوم!

■ وقفة عند حديث الإمام في [تفسير البرهان: ج3]:

(في قوله تعالى: {إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين} قال "عليه السلام": إنّ إبليس أتاهم في صورة حسنة فيها تأنيث - جاءهم كما يفعلُ المُخنّثون - عليه ثياب حسنة، فجاء إلى شباب منهم فأمرهم أن يفعوا به، فلو طلب إليهم أن يقع بهم لأبوا عليه - لجهلهم بهذه الجريمة ولأنّ ذلك خلاف الفطرة وخلاف الغَيرة - ولكن طلب إليهم أن يقعوا به - باعتبار أنّهم ليس عندهم علم بهذا الأمر - فلمّا وقعوا به التذّوه، ثمّ ذهب عنهم وتركهم فأحال بعضهم على بعض- أي إبليس أحال بعضهم على بعض -).

إبليس مُستعد لأي شيء ولكن أن يصل إلى إضلال أبناء آدم!

■ وقفة عند مقطع من دُعاء يُقرأ بعد زيارة الإمامين العسكريين، وهو يتحدّث عن إبليس وأعوانه وجيوشه، جاء فيه:

(فأهلك أولاده وجيوشه وطهر بلادك من اختراعاته واختلافاته، وأرح عبادك من مذاهبه وقياساته، واجعلْ دائرة السَوء عليهم، وابسطْ عدلك وأظهرْ دِينك، وقوّ أوليائك، وأوهنْ أعدائك، وأورث ديار إبليس وديار أوليائه أوليائك، وخلّدهم في الجحيم وأذقهم من العذاب الأليم ، واجعل لعائنك المستودعة في مناحس الخلقة، ومشاويه الفطرة، دائرة عليهم - على إبليس وأعوانه - ومُوكّلة بهم، وجارية فيهم كلّ صباح ومساء، وغدوّ ورواح..) الدعاء يتحدّث عن أماكن تكون مُستودعاً للعنة، وهذه اللّعنة تخرجُ من هذه المُستودعات تُصبّ على إبليس وأعوانه.

أوّل مصداق من مصاديق مناحس الخلقة ومشاويه الفطرة هم اللّواطون؛ لأنّ التكوين الفطري مهدوم ومُشوّه وهذا المعنى واضح من الآيات والروايات.